جامعـة المنصــورة
كليــة التربية
–

المتشابهات الصرفية وقضاياها البلاغية والأسلوبية في كتاب البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والـتبيان للكرماني" دراسة تحليلية"

إعـداد
د/ رغد أحمد محمد الزهراني
عضو هيئة تدريس بجامعة أم القرى

مجــلة كلـــية التربية – جامعـــة المنصـــورة
العدد ١١٥ – يوليو ٢٠٢١

المتشابهات الصرفية وقضاياها البلاغية والأسلوبية في كتاب البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والتبيان للكرماني " دراسة تحليلية"

د/رغد أحمد محمد الزهراني
عضو هيئة تدريس بجامعة أم القرى

ملخص الدراسة:

هذا بحث عنوانه: المُتشابهات الصّرفية وقضاياها البلاغية والأسلوبية في كتاب البُرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والتبيان للكرمانيّ دراسة تحليلية. هدفت هذه الدّراسة وصف الكيفية التي فرّق بها الكرماني بين المُتشابهات الصّرفية من خلال جملة من القضايا البلاغية والأسلوبية، استعان بها في توجيه تلك المُتشابهات؛ فالصيغة المُتشابه تتغاير حسب نسقها النّصي الذي وردت فيه؛ فهو الأصل في المغايرة بين تلك الصّيغ المُتشابه؛ كما أن الصّيغة المُتشابهة تتغاير هيئتها؛ تحقيقًا لوظيفتها التّواصلية وفق مقصدية النّص التي وردتْ فيه.

Abstract:

This is a research entitled: Pure similarities and rhetorical and stylistic issues in the Book of Proof in a similar guidance of the Qur'an because of its argument and the statement of the Turkmen" analytical study.

The purpose of this study is to describe how Al-Karmani has differentiated pure similarities through a number of rhetorical and stylistic issues that he used to guide those similarities; the similar formula varies according to its textual format; it is the origin of the different between those similar formulas; and the similar formula changes its body, in order to achieve its communicative function according to the meaning of the text in which it is contained.

تمهيد:

إنّ المُتشابه اللفظيّ في القرآن من أعظم مظاهر إعجازه البياني، والوقوف على هذه الظاهرة، وبيان سِرِّ الاختلاف بين الآيات المتشابهة لفظيًّا، ومحاولة توجيه ذلك؛ نال نصيبًا مفروضًا من عناية العلماء واهتمامهم؛ فصرفوا كثيرًا من جهودهم إلى معرفة ذلك؛ فتفاوتت أقوالهم، وتنوعت آراؤهم.

لقد كتبّ الكرمانيّ في المُتشابه اللفظيّ في القرآن كتابًا سماه: (البُرهان في توجيّه متشابه القرآن لما فيه من الحُجة والتّبيان). وتذهب فكرة كتابه إلى أن هذا التشابه لا يعني أن الآيات متكررة، وأن هناك فروقًا في المعنى، وهذه الفروق ترتبط أحيانًا بمظاهر في الصياغة على اختلاف مستوياتها؛ فمنها ما يرده إلى المستوى الصوتي، ومنها ما يرده إلى المستوى الصرفي، ومنها ما يرده إلى المستوى التركيبي، ومنها ما يرده إلى المستوى الدلالي.

إنّ الكرمانيّ يحرر بهذه الفروق دلالة يقرّر بها أن هذا التشابه لا يعني أن الآيات مكررة، وأن هناك فروقًا في المعنى، وقد اقتصرت الدّراسة على القضايا البلاغية والأسلوبية التي اشتمل عليها كتاب الكرماني في توجيه المتشابه الصرفي في القرآن؛ وعليه نحدد سؤال الدّراسة بقولنا: ما القضايا البلاغية والأسلوبية التي كانت يوجه بها الكرماني المُتشابه الصّرفي في القرآن؟

إن الدّراسة تقتضي تحديد جملة من مفاهيمها، وهي على النّحو الآتي:

١) المُتشابه اللفظي هو "الآيات المتشابهات التي تكررت في القرآن، وألفاظها متفقة؛ ولكن وقع في بعضها زيادة، أو نقصان، أو تقديم، أو تأخير، أو غير ذلك؛ مما يوجب اختلافًا بين الآيتين، أو الآيات التي تكررت من غير زيادة ولا نقصان"(١).

٢) مفهوم التوجيه: "وحقيقة التوجيه في العلوم، أنه إذا وقعت صعوبة في فهم كلام ما... يقف الشارح عند ذلك الكلام، وييسر تلك الصعوبة، ويحل كل غموض"(٢)

٣) المقصود بالقضايا البلاغية والأسلوبية: تحليل الكيفية التي حرّر بها الكرماني الفرق بين الآيات المتشابهة؛ فقد التَمس بين الآيات المُتشابهة فروقًا في الصياغة، أي: "أن تعالج علوم البلاغة الإمكانيات التعبيرية في اللغة من جهة قواعدها؛ [كما يقتضي ذلك] وصف النّص حسب طرائق مستقاة من اللسانيات "(٣). و"من الشائع أن المادة المُتخذة موضوعًا للدراسة هي التي تحدد المنهج، وتقتضيه"(٤). إنّ الكشف عن طبيعة تلك القضايا البلاغية والأسلوبية، يفْرضُ المضامين النّقدية لكلٍّ منهما، وفق منحنى معين، يقوم على الملاحظة

(١) البرهان في متشابه القرآن، للكرماني، ص١٧.

(٢) ينظر: كتاب التعريفات: الجرجاني.

(٣) في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، سعد عبد العزير مصلوح، ص٦٨.

(٤)التراث ومشكل المنهج، محمد عابد الجابري، ص٧١.

المباشرة للظاهرة اللغوية؛ ومن ثم تسجيل تلك الظاهرة اللغوية بوصفها " بناء داخلي متدرج؛ بحيث لا يُفهم جزء دون علاقتة بالأجزاء الأخرى"[١]؛ يقول عبده الراجحي "لا ينبغي أن ننظر إلى اللغة في النص باعتبارها مجموعة من الظواهر المنفصلة، بل باعتبارها نظامًا عضويًا تتداخل فيه كل الأجزاء، ويؤدي فيه كل جزء دوره "[٢].

٤) التّعريف بالكرماني وكتابه: هو محمود بن حمزة بن نصر أبو القاسم الكرماني، يُعرف بتاج القرأَ"[٣]. يقول صالح الشثري: " ترجمة ياقوت الحموي له تعدّ الترجمة الأم"[٤]، أمّا عن موضوع كتابه، فيقول الكرماني: "فإن هذا كتاب أذكر فيه الآيات المتشابهات التي تكررت في القرآن، ألفاظها متفقة...؛ مما يُوجب اختلافًا بين الآيتين أو الآيات، وأُبيّن السبب في تكرارها...؛ وما الحكمة في تخصيص الآية بذلك دون الآية الأخرى؟ وهل كان يصلحُ ما في هذه السورة مكان ما في السورة التي تُشاكلها، أم لا؟ ليجري ذلك مجرى علامات تزيل إشكالها،... إلخ" [٥]. أمّا سبب تأليفه؛ فقد حدّده الكرماني بقوله: " أفردت هذا الكتاب لبيان المُتشابه، فإن الأئمة – رحمهم الله تعالى– قد شرعوا في تصنيفه، واقتصروا على ذكر الآية ونظيرتها، ولم يشتغلوا بذكر وجوهها، وعللها، والفرق بين الآية ومثلها،..."[٦]. يعدّ كتاب البُرهان للكرماني واسطة العقد بين مرحلتين؛ المرحلة الأولى: مرحلة التأليف الأولى التي كان قصب السبق فيها للخطيب الإسكافي في كتابه (درة التنزيل وغرة التأويل) ؛ فقد صرّح الكرماني بالأخذ عنه. والمرحلة الثانية: هي مرحلة ما بعد الكرماني، وقد اعتمد أغلب من جاء بعده على كتابه، فكأن الكرمانيّ قطعَ بالُمتشابه مرحلتين: مرحلة التّأسيس من خلال الاعتداد بكتاب الإسكافي، ومرحلة التجديد التي امتاحت منها المصنفات التي جاءت بعده.

المتشابهات الصّرفية:

---

(١) يُنظر: بناء الجملة العربية، محمد حماسة، ص٧٤.

(٢) النحو العربي والدرس الحديث، ص١٢٣.

(٣) بتصرف، مقدمة المحقق السيد الجميلي، التعريف بالمؤلف، البرهان، للكرماني، ص٩.

(٤) المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية، صالح الشثري، ص٤٧.

(٥) البرهان للكرماني، ص: ٢٢.

(٦) البرهان، مصدر سابق، ص٨.

الصّرفُ علمٌ يتناول أحكام الكلمة في حال الإفراد، أي: في كونها خارج التركيب؛ بغية معرفة أنفس الكلمة الثابتة على حد تعبير ابن جنّي [١]. فضبط أبنية الكلم، وتصنيفها، ورصد تغيراتها، وتحديد وظائفها؛ هو موضوع الدّرس الّصرفي، وغايته دراسة أبنية الكلمات التي يدّخلها التّغيير بشكلٍ من الأشكال[٢]. ومن النّاحية التّطبيقية لا يمكن فصل الصّرف عن علوم اللغة الأخرى عند دراسة النّص؛ فهيئة الكلمة، وصيغتها؛ ليست إلا جزءًا من السياق الذي ترد فيه، ومجيئها على هيئةٍ من الهيئاتِ؛ ليس إلا انسجامًا مع المعنى والدّلالة في ذلك النّص.

إنّ الدراسة هذه تُشكّل الرّؤية القديمة في دارسة المُتشابه؛ ويتحايث فيها مفهوم البنية؛ لكونه عميقًا في استيعاب كافة النّواحي الصّرفية، مع مفهوم الصّيغة عند المحدثين؛ فالصيّغة عندهم هي: " كل لفظ له معنى لغوي يُفهم من مادته التركيبية، ومعنى صيغي يُفهم من هيئته، أي: حركاته، وسكناته، ترتيب حروفه؛ فالصيغة اسم من المصوغ الذي يدلّ على التصرف في الهيئة لا في المادة" [٣]. فالصيغة إذاً يُشترط فيها اجتماع المعنيين: اللغوي، والصيغي الاشتقاقي، وهذا المعنى أشار إليه ابن جني ابتداء في باب (الدلالة اللفظية والصناعية)، فالدّلالة الصناعية صورة يحملها اللفظ، وتُشير ما تمتاز به الصيغة من صناعة تظهر في عملية التشكيل والصياغة [٤]. وهذه السّمة واقعة في توجّيه الكرماني للمتشابهات الصّرفية؛ فهي صيغة لها خصائص صرفية، وأخرى تركيبية، ولها معنى لغوي، وآخر صيغي، ولها ارتباط بما تَرد فيه من تراكيب نحوية، وباجتماع كلّ من خصائصها الصّرفية والتّركيبية تؤدي وظيفتها التّعبيرية وفق مراد المُتكلم؛ يقول أحمد المتوكل: "تعكس إلى حدٍّ بعيد الخصائص المرتبطة بوظيفة التواصل؛ بحيث يمكن اعتبار بعض مقومات هذه البنية وسائل للتعبير عن الأغراض التواصلية التي يسعى المتكلم إلى تحقيقها في طبقات مقامية معينة" [٥]. أي: إنّ وظائف الصّيغ الصّرفية هي السؤال الرئيس الذي جاء علم الصرف ليجيب عنه، والفكرة التي تصدى النّموذج الصّرفي لحلها في حقل المفردة، والجملة، والنّص.

---

(١) يُنظر: المصنف، ابن جني، ص٣ و ٥.

(٢) يُنظر: المنهج الصوتي للبنية العربية (رؤية جديدة في الصرف العربي)، عبدالصبور شاهين، ص٢٣.

(٣) الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، عبدالحميد هنداوي، ص٩.

(٤) يُنظر: الخصائص، مصدر سابق: ٩٨/٣.

(٥) قضايا اللغة في اللسانيات الوظيفية (بنية المكونات أو التمثيل الصرفي–التركيبي)، ص٦٥.

إنّ صياغة الكلمة في توجيّه المُتشابه اللّفظي عند الكرمانيّ تطبيقٌ مميز لهذه الفكرة؛ فصيغة الكلمة هي اللّبنة الأولى في بناء النّص؛ نظرًا للدّور الذي تُؤديه الصّيغ في التّعبير عن المعنى؛ يقول ابن فارس: "يُقال: القاسط للجائر، والمقسط للعادل، فتحوّل المعنى بالتصريف من الجور إلى العدل... "[١]. ومراده هنا أن علم الصرف في العربية يتشكّل في بعدين: رأسي؛ يتمثّل فيه الأبنية بأنواعها، وأفقي؛ يتمثّل في الأحوا ل العارضة التي تطرأ على البنية؛ فتؤدي إلى تحويلها عن البناء الذي يفترض أن تجيء عليه إلى بناء آخر تتطلبه تلك الأحوال [٢].

إنّ الكرماني انطلق من هذين البعدين، ولكن وفق تصور المغايرة بين الصيغ، والنظر إلى أحوال الكلمة، "التي تتأهب للدخول في التركيب"[٣]، واختيار صيغ بعينها وفق تعبيرية المتشابهات، كل في سياقه.

إنّ توجيّه المُتشابهات الصّرفية عند الكرماني غايته النّص بوصفه تشكيلًا لغويًّا، فتختص الصيغة الصرفية المتشابهة بهيئة معينة، وبسياق معين؛ وفق أسلوبية العدول والمغايرة بين الصيغ، يقول ابن الأثير: "اعلم أيُّها المتوشِّح لمعرفة علم البيان، أنَّ العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى، لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك، وهو لا يتوخَّاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة، الذي اطَّلع على أسرارها، وفتَّش عن دفائنها...؛ فإنَّه من أشكال ضروب علم البيان، وأغمضها طريقًا"[٤] فمثلًا: تتغاير الصّيغ في المُتشابهات بين الاسم والفعل؛ فيوجه الكرماني تلك المُغايرة وفق المعنى الوظيفي؛ فالفعل يدلّ على الحدوث والتجدد، ويدل الاسم على الثبوت، ويربط ذلك المعنى الوظيفي بالسّياق التّواصلي ودلالته، وأحيانًا يتجاهل ذلك المعنى الوظيفي، وينظر لمسألة التّناسق النّصي؛ فيختار الأداة الصّرفية فقط لتأسيس الفرق، ويتجاهل المعنى الوظيفي لتلك الصيغ، ويلتفت لمسألة هيئة تلك الصّيغة، ودور تلك الهيئة في التناسق النّصي وفق ما يُسمّى (بالتوازي الصرفي)؛ والذي "يعتمد على تكرار بُنى لفظية ذات صفات

(١) المصدر نفسه، ص ٣٣٠، نقلًا عن ابن فارس.

(٢) يُنظر: شرح المفصل، ابن يعيش ٥٣/٩.

(٣) المصطلح الصرفي مميزات التذكير والتأنيث، عصام نور الدين :١٤/١.

(٤) المثل السَّائر:١٢/٢.

متشابهة، كالصيغ الاشتقاقية (...)؛ لتعزيز الجانب الإيقاعي"[١] . فتوجيه الكرمانيّ للمتشابه اللفظيّ ينطلق من عنصرين: عنصر الصّيغة، وعنصر البنية؛ وذلك يستلزم العناية بدلالة الصّيغة ذاتها بالنظر إلى معانيها الصّرفية، ودلالة لنّظام البنائي للنص القرآني؛ لمعرفة الخصوصيات الدّلالية للمتشابهات الصّرفية؛ والكيفية التي استخدم بها الكرمانيّ القواعد الصّرفية؛ لاستخراج دلالات هذا النظام البنائي بكل تشعباته؛ فقد يكون المعنى واحدًا؛ إلا أن التّعبير عن المعنى يتأتى بصور مختلفة، وبطرق شتى؛ انطلاقًا من عملية (التوليد) الصياغي، التي تعتمد على عمليتي: الاختيار، والتوزيع؛ فتنشأ الصورة التقابلية بين الصيغ بوصفها سبيلًا ناجعًا؛ لاستنباط القيمة الجمالية التي هي قائمة أصلًا، وإنما ذلك يرجع إلى قدرة المتلقي في تذوقها.

<u>قضايا المتشابهات الصرفية.وتشتمل ما يلي :</u>

(٢،١) المُتشابهات الصّرفية وفق التّوازي الصرفي و المناسبة السياقية:

التوازي في اللغة له معانٍ، هي: التّعددية، والتّماثل، والمحاذاة، والتّناظر، والمواجهة، والمقابلة، وتوازي الشيئين: بمعنى وازى أحدهما الآخر[٢]؛ أمّا التوازي في الاصطلاح، فيكشف عن "التشابه الذي هو عبارة عن تكرار بنيوي" [٣]. وهو تماثل قائم بين طرفين في سلسلة لغوية ما؛ فالتّوازي الصّرفي يتشكّلُ من "أبنية ذات صفات صوتية متقاربة" [٤]؛ بحيث يصبح ذلك التّوازي أداة سبك تعمل على تماسك أجزاء النص ومكوناته [٥]. وإذا كان التوازي قد شهد تطورًا في الدّراسات الحديثة في المفهوم، واختلافًا في الأنواع والأشكال؛ فإن البلاغة العربية عرفت صورًا عدة لهذا البعد الجمالي، وأتقنته بصورة بارعة في نماذجها التطبيقية، فتحدّثت عن التلاؤم، والسّجع، والتّناسب، والازدواج، والاطراد، وحسن النّسق، والتّشطير، والانسجام. فـ"اللغة قبل كل شيء نسق بنائي يخضع لنظامه الخاص... يؤلف كل مستوى منها نسقًا داخل النسق اللغوي العام" [٦]؛ يقول محمد زكي

---

(١) ظاهرة التوازي في شعر الإمام الشافعي، عبدالرحيم محمد الهبيل، ص١١٠.

(٢) يُنظر مادة (وزي): معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق.

(٣) التشابه والاختلاف نحو منهاجية شمولية، محمد مفتاح، ص٩٧.

(٤) التوازي في شعر يوسف الصائغ وأثره في الإيقاع والدلالة، سامح رواشده، ص١٠.

(٥) يُنظر التوازي ولغة الشعر، محمد كنوني، ص١٨.

(٦) القراءة النسقية (سلطة البنية ووهم المحايثة)، أحمد يوسف، ص١٢٢.

العشماوي: "فليس هناك كلمة تُوصف بأنها حسنة في موسيقاها، إلا إذا أصابت مكانها اللائق بها من السّياق، كما أنها لا تستمد قدرتها المُوسيقية من ذاتها، إنّما من جملة أمور بعضها يتصل بالسياق، وبعضها متصل بتاريخ الكلمة وارتباطاتها، وبعضها من محزون طاقات الكلمة التي أنتجتها التجربة الإنسانية التي أخصبت تلك الكلمة"[١].

إنّ المُناسبة هي سبيل التّوازي في توجيّه الكرمانيّ للمتشابه اللّفظي؛ " فهي تُفضي بالسياق إلى استخدام لفظ بعينه، أو تركيب ما دون غيره؛ لوجود علاقة ما، أو ارتباط معين دلالي أو غير دلالي بين هذا اللفظ –مفردًا أو مركبًا– وذلك السياق"[٢]. يقول القرطاجني: "وإنما الوضع المُؤثر وضع الشّيء المُوضع اللّائق به، وذلك يكون بالتوافق بين الألفاظ، والمعاني، والأغراض من جهة ما يكون بعضها في موضعه من الكلام متعلقًا ومقترنًا بما يجانسه، ويناسبه، من ذلك"[٣]. إنّ التّوازي الصرفي والمناسبة السياقية بوصفهما مفهومًا، كان حاضرًا في الذهنية العربية، وهو "تكرار أصوات محددة أو أبنية صرفية ذات صفات صوتية متقاربة "[٤]، فهو نسق وسمة تعبيرية، يقول فاضل السامرائي:"قد تكون للسياق الذي ترد فيه الآية سمة تعبيرية خاصة، فتترد فيه ألفاظ معينة بحسب تلك السمة، وقد يكون للسورة كلها جو خاص، وسمة خاصة؛ فتطبع ألفاظها بتلك السمة، وهذا أوضح في القرآن؛ فالتّوازي قسيم تلك السّمة التّعبيرية، وهو ناتج الأسلوب الكلي المُعتمد في صياغة النّص، بحسب ما يقتضيه مقصد النّص؛ فالنّسق مهيمن لا يرد في النص مصادفة" [٥]. يقول حسن ناظم: "بموجب النظر إلى البنى الأسلوبية المُهيمنة، ومقاربتها على مستوى العلاقات اللسانية التي تتمخض عنها تلك البنى؛ سوف يتحدد مفهوم الأسلوب بوصفه خاصية كلية مُتموضعة في العلاقات بين الوحدات اللسانية"[٦].

---

(١) ينظر قضايا النقد الأدبي، دار المعرفة الجامعية، ٢٧٨.

(٢) المناسبة في القرآن دراسة لغوية اسلوبية، شعبان عبدالحميد، ص:٥٥.

(٣) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص١٥٣.

(٤) معاني النص دراسات تطبيقية في الشعر الحديث، سامح الرواشدة، ص١٨.

(٥) المتشابه اللفظي في القرآن، ٤٨.

(٦) البنى الأسلوبية: دراسة في أنشودة المطر للسياب، حسن ناظم، ص:٧٠.

إنّ التوازي الصّرفي في تطبيقات الكرماني قائم على المناسبة السياقية، و"هي المناسبة المتعلقة باللفظ من جهة السياق اللغوي (المقالي)..." [١]، والتي تُفضي بالسياق إلى استخدام لفظ بعينه، أو تركيب ما دون غيره. والتوازي جزء من تكوين المناسبة السياقية، فهي " البيئة اللغوية المحيطة بالفونيم، أو الكلمة، أو الجملة" [٢]، وهي النّظم اللفظيّ للكلمة؛ وهي نتيجة لثلاثة أمور؛ اختيار صيغة الكلمة في ذاتها، ثم اختيار الوظيفة التي تؤديها في ذلك السياق، ثم اختيار الموقع المناسب لها؛ لتقوم فيه بأداء وظيفتها؛ فالنّموذج النّصي لمفهوم التوازي الصرفي – وفق المناسبة السياقية– لا يخْرج في واقعه التطبيقي عن هذه الأمور الثلاثة؛ لأن التّوازي يعتمد على تكرار بنى لفظية ذات صفات متشابهة، وذلك "يعين على تقوية إيقاع الفكرة، ويدعم الدلالة التي يعبر عنها النص" [٣].

يقول الكرماني: "قوله: ﴿ فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ ﴾[سورة البقرة:٣٨]، ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ تبع واتبع بمعنى واحد، وإنما اختار في طه (اتبع)؛ موافقة لقوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ﴾ [سورة طه:١٠٨] " [٤].

ويحرّر الفرق هنا على أساس اختلاف الصيغة (تبع، اتبع= فعل/افتعل)، وهو فرق تجاهل فيه الكرماني اختلاف وظيفة كل من الصيغتين ودلالتهما؛ يقول اللغويون: إن الزيادة في المبنى تدلّ على الزيادة في المعنى [٥]، وبناء على هذه القاعدة؛ فإن زيادة الهمز والتاء في (افتعل)؛ تفيد معنى في (افتعل) لا تفيده صيغة (فعل) المجردة، فمثلًا: يفرّق سيبويه بين (كسب)، (واكتسب)، فيقول: "وأما (كسب)، فإنه يقول: (أصاب)، وأما (اكتسب)، فهو التصرف، والطلب، والاجتهاد بمنزلة

(١) المناسبة في القرآن: مصطفى شعبان عبدالحميد، مرجع سابق: ص٧.

(٢) معجم علم اللغة النظري، محمد علي الخولي، مكتبة لبنان، ص:٥٧.

(٣) التوازي في شعر يوسف الصائغ وأثره في الإيقاع والدلالة، سامح الرواشدة، مرجع سابق، ص:١٦

(٤) البرهان، مصدر سابق، ص:١٩

(٥) يُنظر: تفسير الكشاف تحقيق: عبدالرزاق المهدي، ٣٤/١.

الاضطراب"[1]. يقول رضي الدين الاستراباذي في شرح هذا القول: "قوله للتصرف أي: الاجتهاد والاضطراب في التحصيل أصل الفعل، فمعنى (كسب): أصاب، ومعنى (اكتسب): اجتهد في تحصيل الإصابة؛ فلهذا قال الله تعالى: (لها ما اكتسبت) أي: اجتهدت في الخير، وعليها (ما اكتسبت) أي: لا تُؤاخذ إلا بما اجتهدت في تحصيله، وبالغت فيه من المعاصي"[2]. فتعليل الفرق كان من المفترض أن يكون بناء على الفرق بين (تبع / واتبع): وعليه فإن (اتبع) مزيدٌ مُنبئ عن التعمُّل. ولا يُفهم ذلك من (تبع)، الذي هو الأصل؛ الكرماني في توجيه المتشابه هنا تجاهل ذلك الفرق، وانسجم مع النص ونسقه اللغوي؛ فجعل مناط عنايته النّسق الذي اقتضى (صيغة) لكل سياق، وقوام هذا النّسق التّوازي، الذي تحقق بالمناسبة السّياقية، والمشاكلة اللفظية على النحو الآتي: (اتبع) في سورة طه موافقة لما قبله؛ هذه الموافقة جاءت في شكل من أشكال الإحالة النصية والتماسك النصي، يقول: اتبع موافقة لقوله تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَتَّبِعُونَ﴾ وهذه الإحالة وفق التوازي الصرفي الذي اقتضاه النسق اللغوي في كل، والتوازي الصرفي هنا صورة من صور المشاكلة اللغوية، ففي طه (تبع واتبع) بمعنى واحد، وإنما اختار في طه (اتبع)؛ موافقة لقوله تعالى: ﴿ يَوۡمَئِذٖ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ ﴾ [سورة طه:١٠٨]

وتقيس الدراسة على ذلك بقية النماذج، كقول الكرماني في:

"قوله: ﴿وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾ [سورة الأنعام:٩٥] في هذه السورة، وفي آل عمران:﴿وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ﴾ [سورة آل عمران:٢٧]، وكذلك في الروم: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾ [سورة الروم:١٩] ﴿وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾ [سورة يونس:٣١] ؛ لأن ما في هذه السورة وقعت بين أسماء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ﴾ [سورة الأنعام:٩٥] ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا ﴾ [سورة الأنعام:٩٦]، واسم الفاعل يشبه الاسم من وجه؛ فيدخله

(١) الكتاب، سيبويه : ٢٤١/٢.

(٢) شرح الرضي على الشافية، مصدر سابق ١١٠،٢٤١/١.

الألف واللام، والتنوين، والجر، وغير ذلك، ويشبه الفعل من وجه، فيعمل عمل الفعل، ولا يُثنّى، ولا يُجمع إذا عمل، وغير ذلك؛ ولهذا جاز العطف عليه بالفعل، نحو قوله:﴿إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ﴾ [سورةالحديد:١٨]، ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ﴾ [سورة الأعراف:١٩٣]. فلما وقع بينهما، ذكر يخرج الحي من الميت بلفظ الفعل، ومخرج الميت من الحي بلفظ الاسم؛ عملًا بالشبهين، وأخّر لفظ الاسم؛ لأن الواقع بعده اسمان، والمتقدم اسم واحد، بخلاف ما في (آل عمران)؛ لأن ما قبله وما بعده أفعال، فتأمل فيه فإنه من معجزات القرآن"[(١)].

الكرماني يحرّر الفرق من جهة تغاير الصيغة بين الاسم والفعل (مخرج، ويخرج)، ومناط العناية فيه النّسق اللّفظي للآية؛ فقد اقتضى نسقًا ومشاكلة لفظية سياقية؛ فكل سياق اطراد فيه صيغة معينة؛ لأداء قيمة تعبيرية معينة، قوامه في كلّ المناسبة السياقية عن طريق الّتوازي بوصفه جزءًا من فنية النّص؛ وهذا سر التعبير بالاسم في سورة الأنعام، خلاف ورودها بصيغة الفعل في بقية آيات القرآن؛ لأن صيغة (الاسم) في سورة الأنعام جاءت في صحبة نظائرها في نسق سورة الأنعام.

وكذلك قول الكرمانيّ في "قوله: ﴿أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ﴾ [سورة الأعراف: ٦٢] ﴿أُبَلِّغُكُمۡ﴾ [سورة الأعراف:٦٨] بلفظ المستقبل، فعطف عليه:

(وأنصح لكم)، كما في الآية الأخرى: ﴿أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ﴾ [سورة الأعراف:٧٩]، فعطف الماضي؛ لكن في قصة هود قابل باسم الفاعل على قولهم له:﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [سورة الأعراف:٦٦]؛ ليقابل الاسم بالاسم"[(٢)].

الكرماني يحرر الفرق بالمغايرة بين صيغ الاسم والفعل (فاعل/ وأفعل)؛ لكنه ينّظر لمسألة التّناسق اللغوي ودور التّوازي الصرفي والمناسبة السياقية في كل قصة؛ ففي قصة صالح جاء التعبير بالفعل (أنصح)؛ ليلائم ما عُطف عليه، وهو (أُبلّغكم). وفي قصة هود جاء التعبير بالاسم (ناصح)؛ ليلائم ما عُطف عليه (أنصح لكم). ففي قصة صالح عُطف الماضي على الماضي، أما

(١) البرهان، مصدر سابق، ص٥١

(٢) البرهان، مصدر سابق:٦١.

في قصة هود فقد قابل الاسم بالاسم؛ فالمقابلة التي قصدها الكرماني هي التّوازي الصرفي، وهو توازٍ معني بمعاني الصيغ، فالاسم يدلّ على الثبات والاستمرار وهو بقصة صالح أليق. والفعل يعني التجدد والحدوث؛ هو بقصة هود أنسب.

ونقيس عليه كذلك قول الكرمانيّ في "قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [سورة الأعراف:١٠١] ههنا وفي يونس ﴿كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [سورة يونس:٧٤] بالنون؛ لأنه في هذه السورة قد قدّم ذكر الله – سبحانه– بالصريح والكناية، فجمع بينهما، فقال: بالنون، ﴿وَنَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ [سورة الأعراف:١٠٠]وختم الآية بالصريح، فقال: ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ﴾ وأما في يونس فمبني على ما قبله من قوله: ﴿فَنَجَّيۡنَٰهُ﴾ [سورة يونس:٧٣ ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَا﴾ [سورة يونس:٧٤]، بلفظ الجمع؛ فختم بمثله، فقال: ﴿كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ "[(١)].

الكرماني يحرر الفرق هنا بالمغايرة بين صيغ المضارع (يطبع، ونطبع)، وهو تنوّع يردّه إلى النسق اللغوي؛ فنسق السور في كل اقتضى المفارقة في التعبير؛ فسورة الأعراف جرى التعبير بصيغة (طبع)؛ اتساقًا للغة سياقه، وكذلك الشأن في سورة يونس، فقد جرى التعبير (نطبع) بالنون؛ اتساقًا مع لغة سياقه، التي اقتضت التعبير بالنون في كل أفعالها.

(٢،٢)،المتشابهات الصّرفية وفق تداولية الصيغ والوظيفة التواصلية :

أَيْ: ارتباط بنية الكلمة المفردة بوظيفة التّواصل، والتّبليغ، والبيان ارتباطًا يجعل بنية الكلمة انعكاسًا للوظيفة، وتابعة لها، أي: "كيفية تفاعل البنية والوظيفة"[(٢)]، ومدى تبعية البنية للوظيفة؟ وهذه القضية ركّز عليها الكرماني كثيرًا بما يتناسب والاستعمال الإبداعي للبنيات اللغوية في أثناء التّواصل مع المقام وسياق الحديث. ويختلف السياق عن المقام، ولكنّه يتداخل معه، فهو الذي يستدعي صيغة دون أخرى؛ لأداء الوظيفة المقصودة، وبهذا الاستدعاء تتحقّق تداولية المفردة أو الصيغة، وتأثيرها في المتلقي، ويتحقّق الإقناع[(٣)]. ويعدُّ ذلك نوعًا من الاختيار الذي يُعبّر عن

(١) كتاب البرهان، مصدر سابق:٦٥– ٦٦.

(٢) مدخل إلى اللسانيات التداولية، دلاش (الجيلالي)، ترجمة: محمد يحياتن، ص:٥٢.

(٣) ينظر التداولية والحجاج، صابر حباشة، الناشر: مركز صفحات للدراسة والنشر، دمشق–سوريا، ٢٠٠٨، ص:٥٦.

الوظيفة التواصلية المنشودة؛ فعن طريق توليد معانٍ من جذر واحد، يكون استعماله استعمالات مختلفة حسب الوظيفة التواصلية المقصودة، ومن صوره:

١) المغايرة بين المفرد والجمع:

إنّ الوظيفة التواصلية هي التي تقرّر استعمال الجمع بدلًا من المفرد، والعكس. والسياق يشتد جدّه في اختيار الصيغة، فجيء التعبير مرة بصيغة الإفراد ومرة بصيغة الجمع؛ فمقصدية السياق تقتضي التعبير بالإفراد مرة، وبالجمع مرة أخرى؛ وقد جرى بيان الكرماني في عروق هذا المعنى يقول في " قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٧٨]﴿ وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾[سورة هود:٩٤]، حيث ذكر الرجفة: وهي الزلزلة؛ وحّد الدار، وحيث ذكر الصيحة جمع؛ لأن الصيحة كانت من السماء، فبلوغها أكثر وأبلغ من الزلزلة؛ فاتصل كل واحد بما هو لائق به؛ فحيث ذكر الرجفة أفرد الدار، وحيث ذكر الصيحة جمعها"[(١)].

الكرماني يحرر الفرق بين المتشابهات هنا بالمغايرة بين الإفراد والجمع، ويربط ذلك الاختلاف في اختيار التعبير بصيغة دون أخرى بالوظيفة الاتصالية في كلٍّ؛ فيربط سياق القصة بمقام التّلقي من جهة الدلالة، وبسياق النّظم؛ فالجمع (ديار) جاء مع الصيحة؛ لأن رفع الصوت يصحبه فزع، ولمّا كانتْ من جهة السماءِ؛ كان بُلوغها أعظم، وأثرها أشدّ؛ حيث تبلغ مساحة من الأرض أكبر مما تبلُغه مساحة الرجفة، فعبر بالجمع (الدّيار)؛ لأن الجمع يدلّ على الكثرة والمبالغة. أمّا الإفراد: (دار)، فجاء مع الرجفة، التي هي في أصلها اللغوي تعني الاضطراب الشديد؛ فالإفراد يناسب سياق الآية؛ لأن الرجفة – وهي الزلزلة الشديدة– تختصّ بجزء من الأرض؛ ولذلك كله وحّد الدار مع الرجفة، وجمعها مع الصيحة.

وتقيس الدّراسة عليه كذلك قول الكرماني في:"قوله ﴿**أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي**﴾ [سورة الأعراف:٦٢] جميع القصص إلا في قصة صالح؛ فإن فيها: ﴿رِسَالَةَ رَبِي ﴾ [سورة الأعراف:٧٩] على الواحدة؛ لأنه – سبحانه– حكى عنهم بعد الإيمان بالله والتقوى أشياء أمروا قومهم بها؛ إلا في

(١) البرهان، مصدر سابق :٦٣.

قصة صالح، فإن فيها ذكر الناقة؛ فصار كأنها رسالة واحدة. وقوله: ﴿**بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِ**﴾ [سورة الأعراف:١٤٤] مختلف فيها" [(١)].

يوجه الكرماني الفرق بين المُتشابه هنا بالمغايرة بين الإفراد والجمع، واختيار التّعبير بصيغة دون أخرى، وهو اختيار فرضته الوظيفة الاتصالية في كلٍّ؛ فقد أمر شعيب قومه بأشياء كثيرة؛ لهذا (جمع الرسالة) فقال: (رسالات ربي). وفي قصة صالح قال: (رسالة ربي)؛ لأنه أمرهم باتقاء الله وطاعته في أمر الناقة، ومنعهم من التّعرض لها؛ فجعل الرسالة مفردة؛ لهذا قال: (رسالة ربي). وقد اقتضى مقام التفصيل الجمع (رسالات)، أما مقام الإيجاز فاقتضى الإفراد (رسالة ربي).

وتقيس الدراسة على ذلك قول الكرماني في: "قوله: ﴿دَرَجَةً﴾[سورة النساء:٩٥]، ثم في الآيات الأخر: ﴿دَرَجَاتٌ﴾[سورة آل عمران:١٦٣] و﴿دَرَجَاتٍ﴾ [سورة النساء: ٩٦]، و﴿**دَرَجَاتٍ**﴾ [الأنعام:٨٣ و١٣٢]؛ لأن الأولى في الدنيا، والثانية في الجنة، وقيل: الأولى المنزلة، والثانية المنزل، وهو درجات. وقيل: الأول على القاعدين بعذر، والثانية على القاعدين بغير عذر" [(٢)].

يوجه الكرماني الفرق بالمغايرة بين المفرد والجمع؛ فتعبيرية تلك الصيغ جاءت بحسب دورها الوظيفي (دلالة المفرد، ودلالة الجمع)؛ فالسياق تنعقد مقصديته في كلٍّ من الآيات على دلالة الجزاء، مع اختلاف صيغة كل سياق لاختلاف المقام والحال؛ فالوظيفة التواصلية هي التي وجهتْ المتشابه، يقول: "لأن الأولى في الدنيا، والثانية في الجنة، وقيل: الأولى المنزلة، والثانية المنزل، وهو درجات"؛ فوجه هذا التّشابه في صيغة الكلمة (درجة، ودرجات) بالجزاء من جهتين؛ الأولى معنوية؛ حيث طبيعة الدنيا الفناء اقتضت الإفراد (درجة)، أما طبيعة الجنّة الخلود، فاقتضت الجمع (درجات). الثانية حسية؛ حيث (درجة) هي منزلة يصيبها المؤمن من (الدّرجات)؛ فهو يرقى درجة درجة في (سُلم الدّرجات) بحسب عمله؛ فالحديث عن الدرجة في سياق آية الجهاد، يستلزم الحديث عن سُلم الدّرجات، فما الدرجة إلا واحدة من تلك الدرجات، والسياق في سورة النساء مقام تفاضل، ومناط هذا التفاضل هي تلك الدّرجات؛ فتحقق الأجر قائم في كل الأصناف؛ لكنه في بعضها أفضل من بعض.

---

(١) البرهان، مصدر سابق:٦٢.

(٢) المصدر نفسه: ص٤٠، ٤١.

٢) **المغايرة بين الأفعال:** إنّ تعريف الفعل عند النّحاة القدماء لاينفصل عن محتواه الزمني وشكلهُ الصّرفي، أو صيغته، وجلّ الكتب النحوية تتبنى تعريفًا يشبه هذا: "إن الفعل ما دلّ على اقتران حدث بزمان ما"[(١)]. بل إن سيبويه كان لا يفصل بين الفعل وزمنه؛ إذ يورد المعاني المختلفة بوصفها جزاءً بنائيًا من الفعل. والأفعال عند النحاة ثلاثة: " كما أن الأزمنة ثلاثة، ويعلل ابن يعيش ذلك بقوله: "لمّا كانتْ الأفعال مساوقة للزمان، والزمان من مقومات الأفعال، توجد عند وجوده، وتنعدم عند عدمه؛ انقسمت بأقسام الزّمان؛ ولمّا كان الزمان ثلاثة: ماضٍ، وحاضر، ومستقبل... فالماضي ما عُدم بعد وجوده؛ فيقع الإخبار في زمان بعد زمان وجوده... "[(٢)].

ووفق تلك الرّؤية اللّغوية استثمر الكرماني الزّمن في تحليل المُتشابهات، فالزمن ليس صيغة أو شكلًا صرفيًا؛ إنه أولًا وقبل كل شيء قيمة، ومحتوى دلالي. فالصيغة تعبير عن الزمن، وأدتْ وظيفتها التواصلية في إطار المتشابهات من خلال تلك الدلالة الزمنية. وسيكون ذلك وفق الآتي:

أ- **المغايرة بين الماضي والمضارع:** "الماضي: ما وقع في زمان قبل الزمن الذي أنت فيه، والمضارع: المضارع ما يكون في الزمن الذي أنا فيه أو بعده"[(٣)].

يقول الكرماني في "قوله: ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ [سورة الأعراف:٦٢] في قصة نوح، وهو بلفظ المستقبل، وفي قصة صالح وشعيب ﴿**أَبْلَغْتُكُم**﴾ [سورة الأعراف:٧٩] بلفظ الماضي؛ لأن في قصة نوح وهود وقع في ابتداء الرسالة، وفي قصة صالح وشعيب وقع في آخر الرسالة ودنو العذاب، ألا تسمع قوله: في القصتين"[(٤)].

والكرماني يوجه الفرق بحسب زمن التبليغ؛ فقد ورد لفظ المستقبل (أبلغكم) في قصة نوح وهود _عليهما السلام_ وورد لفظ الماضي(أبلغتكم) في قصة صالح وشعيب، عليهما السلام؛ فزمن التبليغ جزء من حدث كان ينمو في كل قصة وفق دلالات معنوية، كانت تنمو في داخل كل قصة؛ فالحدث العام: دعوة الرسل لأقوامهم؛ والحدث الخاص: طريقة التبليغ: (أبلغكم، وأبلغتكم)؛ ففعل

---

(١) شرح المفصل، ابن يعيش، مصدر سابق، ص ٢٤٣.

(٢) شرح المفصل، ابن يعيش، مصدر سابق: ٧/٤.

(٣) اللباب في قواعد اللغة، ابن السراج ، ص٨٣.

(٤) البرهان، مصدر سابق، :٦١، ٦٢.

الإبلاغ وقع؛ ولكن وقع في كلٍّ على شكل مخصوص يتجلى في (زمنه)، وهذا الزمن له وصفه الدلالي؛ حيث الماضي (أبلغتكم) في قصة صالح وشعيب؛ لكونه وقع في آخر الرسالة مع دنو العذاب؛ فالغاية من هذه الهيئة (أبلغتكم) إقامة الحجة عليهم، وليس الحال ذاته في قصة نوح وهود، فهيئة (أبلغكم) تحمل دلالتها تكرار الحدوث، فالبلاغ متجدد. وهذا التجدد يرسمه زمن الحدث الذي وقع أول القصة، ووقوعه أول الرسالة يعني أنه سيتكرر في كل أوقاتها، إلى أن ينتهي إلى تلك الصيغة الماضية (أبلغتكم)؛ وما أجمل هذا التكامل في إطار الحدث العام (دعوة الرسل لأقوامهم).

ب. المغايرة بين صيغ الماضي: إنّ توجيه الدّلالة من خلال زمن واحد يعني؛ أن تتمايز الدلالة اللفظية فيه لمعنى قائم في الصيغة ذاتها، ضمن السياق والنّسق الذي جرى فيه المعنى، يقول الكرماني في " قوله﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ ﴾[سورة الأعراف:٦٤]، وفي يونس ﴿فَنَجَّيْنَاهُ ﴾[سورة يونس:٧٣]؛ لأن أنجينا ونجينا للتعدي، لكن التشديد يدلّ على الكثرة والمبالغة، فكان في يونس ﴿**وَمَنْ مَعَهُ**﴾ولفظ (من)يقع كثرة مما يقع عليه (الذين)؛ لأن من يصلح للواحد، والتثنية، والجمع، والمذكر والمؤنث، بخلاف الذين؛ فإنه لجمع المذكر فحسب، فكان التشديد مع من أليق"[(١)] .

الكرماني يوجه الفرق هنا بين الآيات بالمغايرة بين صيغ الفعل الماضي، التي تنوّعت بناء على اعتبار السياق لوظيفية صيغ الماضي (فعّل: تفيد التكثير والمبالغة)؛ حيث نسمع من الله مشهد الختام من قصة سيدنا نوح ﷺ وهو حدث إغراق قوم نوح ﷺ (أنجينا، ونجينا)، بمعنى واحد التعدية، لكن التضعيف في (نجّينا)، يفيد التكثير؛ وهذا التكثير القائم في صيغة الفعل (نجّينا)[(٢)] ، جاء متوافقًا مع النسق اللغوي والدلالة المعنوية في السياق؛ ففي سورة يونس يقول الله في عقبها:(ومن معه)؛ ففعل النّجاة محيط بالكل. أمّا في سورة الأعراف، فيقول الله في عقبها: (الذين)، فهي خاصة بجمع المذكر، وقد اقتضى هذا التعبيرَ بتلك الصيغة (أنجينا)؛ فقصص القرآن جاءت موزعة المشاهد بين سور القرآن، وآياته، والتّدرج في رسم المشاهد من الإيجاز إلى التّفصيل أسلوب في القصص القرآني، فكلما تكررت القصة؛ زادت تفاصيل تلك المشاهد؛ لذلك كانت صيغة

---

(١) البرهان، مصدر سابق، :٦٢.

(٢) يقول سيبويه: "... وقالوا: أغلقت الباب، وغلّقت الأبواب حين كثروا العمل... وكان أبو عمرو أيضًا يفرّق بين نزلت وأنزلت.. وتقول: كسرتها وقطعها، فإذا أردت كثرة العمل قالت: كسرته، وقطعته، ومزقته..." ينظر: الكتاب، مصدر سابق، ص٦٣، ٦٤.

(أنجينا)؛ لأنّها وقعت أولًا في السماع عن الله؛ ولكن لمّا زادت تجلية المشهد في السورة التالية؛ سمعنا من الله حدثًا جديدًا من تلك المشاهد، أن النجاة وقعت على الجميع (نجينا)؛ فالصيغة الأولى (أنجينا) جاءت في سياق الإخبار فحسب، أما صيغة (نجينا)، فجاءت ليس سياق في الإخبار بالحدث فحسب؛ بل وصف الحدث. فالنجاة كانتْ لكل من كان معه، وهذا بدوره يستلزم الغرق لكل من لم يكن معه. وتقيس الدراسة على ذلك بقية النماذج: "قوله: [سورة التوبة:٨٧] ، ثم قال: [سورة التوبة:٩٣]؛ لأن قوله: ﴿ وَطَبعَ ﴾ محمول على ما سبق، وهو قوله:[سورة التوبة:٨٦] مبني للمجهول، والثاني محمول على ما تقدّم من ذكر الله – تعالى– مرات؛ فكان اللائق ﴿ وَطَبعَ ﴾ وختم كل آية بما يليق بها؛ فقال في الأولى: [سورة التوبة:٨٧] وفي الثانية: قال: ﴿ [سورة التوبة:٩٣] لأن العلم فوق الفقه، والفعل المسند إلى الله فوق المسند إلى المجهول" [(١)] .

ج– **المغايرة بين صيغ المضارع:** (يُفعل) و(يَفعل) : يقول الكرماني في "قوله: ﴿[سورة الإنسان:١٥] وبعده:، إنما ذكر الأول بلفظ المجهول؛ لأن المقصود ما يُطاف به، لا الطائفون" [(٢)] .

الكرماني يوجه الفرق بالمغايرة بين صيغ الفعل المضارع. إن الفعل المبني للمجهول قد تقدّم على الفعل المبني للمعلوم، وهذا خلاف ما هو معروف في اللغة من تقديم المبني للمعلوم على المبني للمجهول؛ لكي يغني ذِكرُ الفاعل في المرة الأولى عن ذكره في المرة الثانية؛ لكن الخطاب هنا رشّح ذلك التحول من البنية العميقة إلى البنية السطحية، وفق وظيفية الفعل المضارع التي تتمثل في استمرارية الحدث (نعيم أهل الجنة)، وكسر تلك المعيارية الافتراضية، وهي قطب المقصد هنا، ومدار فلك المعنى :(الأكل والشرب في آنية الفضة)، فهي موطن الإكرام والنعيم. والغاية من بناء الفعل للمجهول؛ لأنه الأصل في تحرير الدلالة؛ فالسياق سياق الحديث عن صورة من صور نعيم أهل الجنة؛ اقتضت تلك الصورة العناية بالتعبير عنها باستقصاء صورة ذلك النعيم؛ إذ يقول:" إنما ذكر الأول بلفظ المجهول؛ لأن المقصود ما يُطاف به، لا الطائفون؛ فالقصد في الآية الحديث عن النعيم وصورة الإكرام في هذا النعيم هو شرابهم في آنية الذهب والفضة، وزيادة في النعيم اقتضى المقام إكمال صورته في وصف الطائفين بهذه الآنية؛ فصورة آنية الفضة التي يُطاف بها تستلزم صورة الولدان الذين يطوفون بها، وصورة الولدان الذين يطوفون تستلزم صورة آنية الفضة

(١) البرهان، مصدر سابق، :٦٢. ، :٧٦.

(٢) البرهان، مرجع سابق : ١٩٩.

التي يُطاف بها، وكأن الكرماني يقول: إن هذا الاقتضاء لطرفي الصورة يحدّد البداية والختام لهذا المشهد من النعيم.

٤) **المغايرة بين التذكير والتأنيث:** الذّكر في اللغة خلاف الأنثى، وفي الاصطلاح: هو الإخبار عن اللفظ على صفةٍ مَّا، أو الإشارة إلى غير ذلك من الأحكام الخاصة بكل واحد[(١)]، واختصاصهما في الأسماء، وأمَّا الأفعال فلا يصحُّ الإخبار عنها، ولا الإشارة إليها؛ قال سيبويه: "العرب تختلف فيها؛ يؤنّثها بعض، ويذكّرها بعض"[(٢)]، وتتمثّل مظاهر التذكير والتأنيث في: المبنيات (الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، والأدوات).

إنّ فنية التعبير بالتذكير والتأنيث؛ هو أن يجعل المُتحدث كلامه وعباراته مؤدية للغرض المقصود؛ باختيار ما يناسب المقام من العناصر المتعلقة بالتذكير والتأنيث؛ كالضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، والأوصاف.

إنّ توجيه الكرماني ورؤيته اللغوية فيما يخصّ المتشابهات الصّرفية وفق قضية التذكير والتأنيث غايتها تسليط الضوء على فنية التعبير، وتوظيف تلك الخصيصة التعبيرية في توجيه المتشابه صرفيًا.

أ- **المغايرة بين التذكير والتأنيث في الأسماء:** يقول الكرماني: "قوله: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾[سورة السجدة:٢٠]، وفي سبأ:﴿**ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ**﴾[سورة سبأ:٤٢]؛ لأن النار في هذه السورة وقعت موقع الكناية؛ لتقدّم ذكرها، والكنايات لا تُوصف؛ فوصف العذاب. وفي سبأ لم يتقدم ذكر النار قبل؛ فحسن وصف النار"[(٣)].

الكرماني يحرر الفرق بالمغايرة بين التذكير والتأنيث في الاسم الموصول (الذي/ التي) بحسب السّياق من جهة، والمقام والحال من جهة أخرى؛ فخصوصية التعبير في كلٍّ تظهر بعد أن نسمع الله الآيتين:

---

(١) المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، الشاطبي، تحقيق: عبدالرحمن بن سليمان٦/٣٤٤.

(٢) الكتاب، مصدر سابق: ٣/٢٥٩.

(٣) البرهان، مصدر سابق، ص ١٤٨.

يقول تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾[سورة السجدة:٢٠].

يقول تعالى:﴿ **فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ**﴾[سورة سبأ:٤٢]. فلفظ (النّار) في آية السجدة اسم ظاهر وقع موقع الضمير، والضمير لا يوصف، فوصف العذاب فحسُن التذكير؛ أمّا في آية سبأ فإنه لم يتقدّم ذكر النار في الآية فحسُن وصف النار، فجاءت الآية بالتأنيث. فسياق التذكير في سورة السجدة جاء حديثًا عن العذاب؛ لذلك (فالذي) هنا مذكرًا؛ لأنها وقعت في سياق وصف العذاب؛ فـ(النار) ذُكرت في آية السجدة صريحة، ومُكنّى عنها بصورة من صور عذابها. أمّا سورة سبأ (فالنار) ذُكرت فيها بصفتها مصيرًا وعذابًا، من غير الحديث عن صور ذلك العذاب، كما هو الشأن في سورة السجدة، فناسب معها التأنيث (التي)، هذا والله – تعالى– أعلم.

ب. **المغايرة بين التذكير والتأنيث في الأفعال المسندة للضمائر:**

يقول الكرماني في "قوله: ﴿**فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا** ﴾[سورة آل عمران:٤٩]، وفي المائدة:﴿**فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا**﴾[سورة المائدة:١١٠]، قيل: الضمير في هذه السورة يعود إلى الطير، وقيل: إلى الطين، وقيل: إلى المهيأ، وقيل: إلى الكاف؛ فإنه في معنى مثل. وفي المائدة يعود إلى الهيئة، وهذا جواب التذكير والتأنيث، لا جواب التخصيص؛ وإنما الكلام وقع في التخصيص، وهل يجوز أن يكون كل واحد منهما مكان الآخر أم لا؟ فالجواب: إن يُقال: في هذه السورة إخبار قبل الفعل؛ فوّحده، وفي المائدة خطاب من الله – تعالى– له يوم القيامة، وقد تقدّم من عيسى عليه السلام الفعل مرات، والطير صالح للواحد، وصالح للجميع"[(١)].

الكرماني يوجه لفرق بالمغايرة بين تذكير الضمير مرة، وتأنيثه مرة؛ ويفسر ذلك؛ بأن الضمير في آل عمران (فيه) يناسب مقام ذكر الآيات، وأول ما يصور من الطين كهيئة الطير؛ فيلزم به الحجة عليهم؛ فهو خطاب قبل الفعل؛ أمّا آية المائدة فناسب التأنيث ذكر النعم وتعددها؛ وهذا سبب التذكير والتأنيث؛ فخصوصية التعبير بالضمير مذكرًا في آل عمران، وخصوصيته مؤنثًا في سورة المائدة، خصوصية إذ ينظر الكرماني هنا إلى السياق المتقدم، وإلى بناء الأسلوب.

نتائج الدراسة:

(١) البرهان، مصدر سابق، ٣٤.

- إن توجيه المتشابهات الصّرفية عند الكرماني كان منسجمًا مع النّظم اللفظي والنّسق اللغوي والآداء الصوتي للنص؛ فالصيغة المُتشابه تتغاير حسب نسقها النّصي الذي وردت فيه ؛ فهو الأصل في المغايرة بين تلك الصّيغ **المُتشابه؛ كما أن** الصّيغة المُتشابهة تتغاير هيئتها؛ تحقيقًا لوظيفتها التّواصلية **وفق مقصدية النّص التي وردت فيه** .
- إنّ توجيه المتشابهات الصّرفية عند الكرماني تبين أهمية التكرار في سبك النص ودور نحو النص في توجيه المتشابهات وفق بنية التغاير بين الصيغ
- إنّ توجيه المتشابهات الصرفية عند الكرماني لم يهتم بوظيفية الصيغة المفردة إلا ضمن دورها في أداء وظيفتها التواصلية المنوطة بها في النص.
- إنّ توجيه المتشابهات الصّرفية عند الكرماني يبين أهمية التكرار في سبك النّص، ودور نحو النّص في توجيه المُتشابهات وفق بنية التّغاير بين الصيغ
- إنّ توجيه المتشابهات الصّرفية عند الكرماني يؤكد على دور كل عنصر لغوي في تحرير دلالة النّص ابتداء بالحرف وانتهاء بالنص.

مكتبة الدّراسة:

- الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم (دراسة نظرية تطبيقية للتوظيف البلاغي لصيغة الكلمة)، عبدالحميد هنداوي، الناشر: جدار للكتاب العالمي، عمان، الأردن.

- البديع بين البلاغة واللسانيات النّصية، جميل عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة.
- البديع والتوازي، عبدالواحد حسن الشيخ، مكتبة الإشعاع الفنية، مصر، القاهرة
- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق: مصطفى عطا، دار الفكر، بيروت.
- بناء الجملة العربية، محمد حماسة، الناشر: دار القلم، مصر.
- البنى الأسلوبية، حسن ناظم، الناشر: المركز العربي الثقافي، المغرب، ٢٠٠٢ .
- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الناشر مؤسسة التاريخ العربي، ٢٠٠٠م.
- التداولية والحجاج، صابر حباشة، مركز صفحات للدراسة والنشر، سوريا، ٢٠٠٨.
- التراث ومشكل المنهج، محمد عابد الجابري، دار توبقال، ١٩٨٦.
- التشابه والاختلاف، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، المغرب.

- التعريفات، الجرجاني، تحقيق الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٨٣م.
- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط٣.
- التفكير البلاغي عند العرب، حمادي صمود، دار الكتاب الجديد المتحدة.
- التوازي ولغة الشعر، محمد كنوني، الناشر :مجلة فكر ونقد، العدد: (١٨)، المغرب.
- الخصائص، ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، بيروت، عالم الكتب، ج١.
- شرح الرضي على الشافية (شافية ابن الحاجب)، الاستراباذي، تحقيق: محمد محي الدين، مطبعة السعادة بمصر.
- شرح المفصل، ابن يعيش، إدارة الطباعة المنيرية، مصر : ج٩.
- ظاهرة التوازي في شعر الإمام الشافعي، عبدالرحيم محمد الهبيل، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد: (٣٣)، الجزء: (٢)، شعبان، ٢٠١٤،.
- في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، سعد عبد العزيز مصلوح، مجلس النشر العلمي لجنة التأليف والتعريب والنشر، جامعة الكويت _الكويت.
- القراءة النسقية، أحمد يوسف، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان.
- قضايا اللغة في اللسانيات الوظيفية، دار الإيمان للنشر، الرباط– المغرب، ١٩٩٦.
- قضايا النقد الأدبي، محمد زكي العشماوي، دار المعرفة الجامعية، القاهرة.
- المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية: دراسة تحليلية لتراث علماء المتشابه، صالح الشثري، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- المثل السَّائر، ابن الأثير، تحقيق أحمد الحوفي ، دار نهضة مصر، مصر .
- مدخل إلى اللسانيات التداولية، دلاش (الجيلالي)، ترجمة: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- المذكر والمؤنث، ابن الأنباري، تحقيق:عبدالخالق عظيمة، وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية _لجنة إحياء التراث_، القاهرة _مصر
- معاني النحو، فاضل السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان– الأردن،٢٠٠٠.
- المعجم المفصل في المذكر والمؤنث، إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، لبنان.

- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الجبل، ١٩٧٩م
- مناهج النقد المعاصر، محمد مفتاح، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٢
- المناسبة في القرآن دراسة لغوية، مصطفى شعبان، المكتب الجامعي ٢٠٠٧.
- من النص إلى النص المترابط، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، بيروت،٢٠٠٥.
- منهاج البلغاء، حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب ، دار العرب،
- الوظائف التداولية في اللغة العربية، أحمد المتوكل لدار الثقافة، المغرب.